خلق الإنسان في المزامير وأساطير ما بين النهرين

الأب غزوان باحو
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

سبب اختيار هذا الموضوع هو السؤال الذي يوجّهه المصلّي في مز ١١٥: "أين إلههم؟"، بحيث أنّني من خبرتي في الدراسة والخدمة الرعويّة في روما، مركز المسيحيّة، أرى بأن خطر الوثنيّة يقوى يومًا بعد يوم في مجتمعنا المعاصر. ليست الأوثان تعود إلى فترة العهد القديم أو في أساطير ما بين النهرين، بينما إنسان اليوم يعيش خطر الوثنيّة أكثر من قبل، ووسائل الإعلام تساعد على نشرها بسرعة. هذا الخطر بات يقترب من المجتمع الشرقيّ بسرعة، وسوف نواجهه قريبًا، أو بدأنا نواجهه، ولذلك يجب أن نتسلّح بإيمان الأنبياء لمقاومة خطر الوثنيّة اليوم.

سأحاول في هذا المقال أن أرجع بالتاريخ إلى أساطير ما بين النهرين في ما يتعلّق بالوثنيّة لأوضح كيف أنّ المزمور يحاول أن يقاوم خطر الوثنيّة لكي يؤكّد على مركزيّة الله في حياة الإنسان منذ لحظة خلق الإنسان، والتي لاتزال مستمرّة إلى اليوم.

كان العالم الالمانيّ Gerhard von RAD قد ركّز في دراساته المشهورة على أنّ الموضوع الأساسيّ في الكتاب المقدّس كان الخلاص، بينما موضوع الخلق موضوع ثانويّ، وبشكل خاصّ في المزامير، وهذا ما جعل البعض من الدارسين بعده يركّزون اهتمامهم، على العكس منه، بموضوع الخلق وجعله من المواضيع الأساسيّة للاهوت الكتابيّ.

book mo2tamar .indd 189 6/14/2010 10:21:38 AM

ثم بدأت دراسة الخلق في المزامير تأخذ أهمّيّتها، خاصّة بعد نشر كتاب Rainer ALBERTZ في سنة ١٩٧٤ تحت عنوان:

Weltschöpfung und Menschenschöpfung: Untersucht bei Deutero-Jesaja, Hiob und in den Psalmen,

بإشراف عالم الكتاب المقدّس المشهور Claus WESTERMANN؛ فهو يختتم أطروحته بأنّه هناك تقليدين متميّزين للخلق في المزامير، وكذلك أيضًا في أشعيا الثاني: خلق العالم وخلق الإنسان. فخلق الإنسان نراه في "الفنّ الأدبيّ المراثيّ (الشكوى)" الذي هو أساس الدعوة إلى طلب الرحمة الإلهيّة، حيث يرفع المصلّي طلبته قائلاً: "لا تترك الشخص الذي خلقته".

وفي الثمانينات من القرن العشرين ازدادت أهمّيّة دراسة موضوع الخلق في المزامير على يد عدد من علماء الكتاب المقدّس، ومن أشهرهم: G. Lambert; H.-J. Kraus; E. Beaucamp; L. Lagrand; G. Ravasi.

بيّنت هذه الدراسات أنّ قصص الخلق في الكتاب المقدّس ليست أسطوريّة بحدّ ذاتها، ولا تعبّر عن وجهة نظر علميّة، وإنما تعبّر عن إيمان الإنسان بالله المحبّ، الذي خلق الإنسان عن محبّة. هكذا فإنّ قصص الخلق في المزامير تتحدّث عن قصّة خلاص إسرائيل، وخاصّة الخروج من مصر والخروج الثاني من بابل كخلق جديد.

من جهة أخرى، بيّنت الدراسات الحديثة حول ديانات الشرق الأوسط القديمة، وخاصّة البابليّة منها، بأنّ الفكرة الأساسيّة بالنسبة إلى موضوع خلق الإنسان وتنظيم العالم من قبل الإله، كانت "مركزيّة الله أو مركزيّة المعبد– الهيكل" (Templocentric or Theocentric). خُلق الإنسان لخدمة الآلهة، والتي تعني بناء معابدهم وخدمتها، وعادة تحت قيادة الملك. والنقطة الثانية المهمّة في الخلق هي "مركزيّة الشعب" (ethnocentric)، مثلاً: بابل أو إسرائيل. ولهذا فإنّني سوف أبدأ بتقديم تاريخيّ لقصص الخلق البابليّة الأكثر

book mo2tamar .indd 190 6/14/2010 10:21:38 AM

أهمّيّة في تاريخ وادي الرافدين القديم للوصول إلى فكرة خلق الإنسان في المزامير وخاصّة في مز ١١٥.

١ – تقليد وادي الرافدين واحتفاليّة أكيتو

تعتبر احتفاليّة أكيتو واحدة من أقدم الأعياد في وادي الرافدين، بحيث أخذت تزداد أهمّيّته في التقويم الليتورجيّ مع الملك حمورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م.)، في بداية الالف الثاني ق. م.، عندما أصبحت بابل، المدينة ذات الأهمّيّة الثانوية، عاصمة مملكة كانت تشمل كلّ المنطقة. هذا الوضع السياسيّ الجديد كان له تأثير لاهوتيّ مهمّ بالنسبة إلى موقع **الإله مردوخ**، إله بابل، في بانثيون وادي الرافدين.

بالحقيقة، حصل مردوخ في هذه الفترة على مكانته المرموقة بين الآلهة وسلطته على الأرض، لأنّ حمورابي أعلنه في بداية قانونه رئيسًا على كلّ البشر وواحدًا من أكبر الآلهة (١/١–٢٦).

ولكن على الرغم من ذلك، فإنّه لم يكن قد أصبح بعد إله الآلهة في البانثيون، لأنّه، بالرغم من كونه سيّد البشر، لم يكن قد أصبح بعد سيّد الإله. ولأجل الوصول إلى القمّة في البانثيون، تطلّب ذلك عدّة قرون إلى مجيء نبوخذنصر الأوّل (١١٢٤–١١٠٣) الذي، بعد انتصاره على العيلاميّين، جاء بتمثال مردوخ إلى بابل بعد فترة من تواجده في المنفى. في هذه الفترة بالذات، ولأوّل مرّة في تاريخ وادي الرافدين والكتابات الأكّديّة، نجد لفظة "**مردوخ شار إيلاني**"، أي "مردوخ ملك الآلهة". ثمّ بعد ذلك نجد اسمه مكتوبًا بعدّة أشكال أكثرها شهرة "ابن الشمس". في هذه الفترة نجد أيضًا بأنّ الثالوث القديم "**إنو–إنليل–إيا**" يتمّ تبديله باسم مردوخ، الذي يأخذ هكذا المكانة الأولى بين الآلهة وفوق البشر، مثبتًا بذلك بابل مركز العالم ومكان إقامته.

ولكي يصبح ذلك معلنًا للجميع وتثبيته على شكل قانونيّ ولاهوتيّ وليتورجيّ، فإنّ كتّاب نبوخذنصر الأوّل كتبوا ونشروا قصّة خلق العالم البابليّة

book mo2tamar .indd 191 6/14/2010 10:21:38 AM

إنوما إليش التي تأخذ اسمها من بداية الكلمات الأولى"عندما في الأعالي". هذه القصّة هي معروفة عند الباحثين والاختصاصيّين على أنّها قصّة تمجيد الإله مردوخ، ووصوله إلى قمة البانثيون، وانتصاره على كلّ الآلهة في زمن نبوخذنصر الأوّل، وتثبيت بابل مركز العالم ومكان إقامته. كانت هذه القصّة تُتلى في اليوم الرابع من عيد أكيتو، الذي يعتبر أوّل يوم من السنة البابليّة.

في نهاية الألف الثاني ق.م.، بدأت مملكة بابل بالضعف، بينما في شمال وادي الرافدين كانت مملكة أشور تصبح أكثر قوّة، إلى وقت وصول تغلت–فلاسر الأوّل إلى الحكم (١١١٤–١٠٧٦ ق.م.)، بحيث أصبحت أشور القوّة العظمى في المنطقة، وأخذ الإله أشور مكانة الإله مردوخ (وهذا ما تؤكّده نسخة أشوريّة من قصّة خلق العالم **إنوما أليش** التي تبدل اسم مردوخ باسم الإله أشور). وهكذا، فإنّ الملوك الذين تبعوه حصدوا من قوّة المملكة هذه بتوسيع حدودها إلى حوض البحر الأبيض المتوسّط، لتصل إلى قمّتها في القرن الثامن ق.م.، مع وصول تغلت–فلاسر الثالث إلى الحكم (٧٤٤–٧٢٧ ق.م.)، بحيث وحَّد، ولأوّل مرّة، كلّ الشرق الأوسط القديم تحت السلطة الأشوريّة، ومن ضمنها أيضًا مملكة سوريا وإسرائيل.

في هذه الفترة (القرن الثامن قبل الميلاد) ظهر أيضًا في إسرائيل كبار الأنبياء، مثل أشعيا الذي تلقّى دعوته من الله (أش ٦)، وتدخّل في سياسة ملك إسرائيل حينما طلب الملك أحاز العون من الملك الأشوريّ تغلت–فلاسر الثالث (أش ٧–٨).

تحت حكم سركون الثاني (٧٢١ ق.م.) تمّ بتدمير مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، وهكذا بقيت فقط مملكة يهوذا في الجنوب تتمتّع بحكم ذاتيّ لفترة سوف تدوم ١٥٠ سنة أخرى.

موت الملك سركون في معركة تابل في ٧٠٥ ق.م.، كان يعني بالنسبة إلى العقليّة الدينيّة الأشوريّة أن هناك "خطيئة" اقترفت من قبله لكي يستحقّ هذا

book mo2tamar .indd 192 6/14/2010 10:21:38 AM

العقاب. أخذه مكانه وارثه الطبيعيّ سنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م.) الذي لم يستطع هو الآخر الانتصار على أورشليم حتّى إعلانه ابنه الصغير أسرحدون (٦٨٠–٦٦٩ ق.م.) ملكًا قبل موته. هذا الفعل، إضافة إلى نقله تمثال مردوخ من بابل إلى أشور، جعل الشعب يثور ضدّه. بعده بدأت الأزمة السياسيّة التي ذهب ضحيّتها الملك والمملكة، بالرغم من أنّ الملك أشور بانيبال أثبت جدارته بالحكم وبحكمته، إلا أنّ مملكة أشور لم تدم طويلاً بحيث إنّه بعد موته بـ ١٥ سنة في ٦١٢ ق.م. تمّ احتلال نينوى من قبل البابليّين، وسقطت مملكة بابل في ٦٠٩ ق.م. هكذا عاد من جديد حكم البابليّين، ورجعت معه أهمّيّة مردوخ.

في عهد نبوخذنصر الثاني (٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م.) أصبحت بابل القوّة العظمى الوحيدة في كلّ منطقة الشرق الأوسط، ووصلت حدودها إلى مصر، وخاصّة بعد احتلاله أورشليم في ٥٨٧ ق.م.، ونفي شعب يهوذا إلى بابل.

في هذه الفترة اصبحت اللغة الأراميّة لغة الأمبراطوريّة الرسميّة، مع الحفاظ على اللغة الأكديّة كلغة الثقافة والليتورجيّا، وكذلك أصبحت احتفاليّة أكيتو من أشهر الاحتفالات على مستوى الأمبراطوريّة البابليّة التي كانت تتغنّى بانتصار مردوخ على كلّ الآلهة، وبانتصار الملك على كلّ الملوك.

وكما حدث لمملكة أشور، هكذا أيضًا سيحدث لمملكة بابل التي سوف تدوم فقط إلى ٥٣٩ ق.م. كان الملك البابليّ الأخير نابونيدو، كونه ابن كاهنة للإله سين القمر، قد أهمل عبادة الإله مردوخ من أجل عبادة الإله قمر، ممّا جعل كهنة الإله مردوخ يثورون ضدّه، ويسلمون بابل إلى يد الملك الفارسيّ قورش ليضع نهاية للمملكة بابل العظمى، علمًا أنّه تبنّى عبادة الإله مردوخ، وأعطى الحرّيّة الدينيّة لكلّ ممكلته، واستمرّت اللغة الأراميّة هي لغة الثقافة لتأخذ مكان اللغة الأكديّة، إلى وقت وصول الأمبراطور اليونانيّ إسكندر الكبير ليحتلّ بابل في ٣٣٣ ق.م.، ويموت فيها، ويتنهي دور حضارة وادي

book mo2tamar .indd 193 6/14/2010 10:21:38 AM

الرافدين في التاريخ القديم. ومن أهمّ ما تركت هذه الحضارة الكبيرة، في ما يخصّ موضوع الخلق، هو قصّة كلكامش وقصّة خلق العالم البابليّة إنوما أليش التي كانت ترتّل أثناء احتفاليّة أكيتو البابليّة. سوف أبدأ بالأخيرة لأهمّيّتها في موضوع الخلق.

٢ – احتفاليّة أكيتو وقصّة إنوما أليش

تعتبر الأيّام الثلاثة الأولى من احتفاليّة أكيتو أيّامًا تحضيريّة، بحيث أنّ الكاهن **أوريكاللو**، بعد أن ينهي طقوس التطهير، كلّ يوم قبل شروق الشمس، يدخل إلى المعبد لوحده ويصلّي إلى الإله مردوخ: **ربّ الأرض والملوك، مخلّص الآلهة الكبار، نور البشر الذين حدّد أقدارهم**. فقط في اليوم الرابع تتم تلاوة إنوما إليش، مشيرًا إلى بداية التاريخ الإنسانيّ والذي يتمّ في المعبد. بعد ذلك يتمّ عرض قصّة الخلق في طرقات مدينة بابل العاصمة، خارج المعبد، احتفالاً بانتصار مردوخ على كلّ الآلهة المتمرّدة، ولهذا فإنّه يتمّ حمل أصنام الإله مردوخ وابنه نابو للوصول إلى بيت أكيتو (*ANET* 332؛ قارن مز ١٠٤: ٢–٤ بحيث أنّ للربّ موطنًا، هو العالم). في هذا الاحتفال هناك إشارات إلى صنع الآلهة من الخشب (سطر ١٩٠–٢١٥)، كما في مز ١١٥، وأش ٤٠: ٢٠، ٤٤: ١٣–١٤.

في اليوم الثالث من الاحتفاليّة يقوم صانعو الآلهة بصنع تمثالين لمردوخ: **"بعد ثلاث ساعات من شروق الشمس، يتوجّب عليه (الكاهن أوريكاللو) أن يدعو عامليّ المعادن، ويقوم بإعطائهم أحجارًا كريمة وذهبًا من كنز الإله مردوخ لكي يصنعوا تمثالين للاحتفاليّة في الايّام الستّة من نيسان. علاوة على ذلك عليه أن يدعو عامليّ الخشب ويعطيهم الأرز والتمرسيكيّ"** (*ANET* 332). أشعيا الثاني (٤٠: ١٣–١٤، ٤٤: ٩–٢٠) يشير بصورة واضحة إلى صانعي الأصنام، ويهاجمهم بشكل مباشر معلنًا أسماءهم (٤٦: ١–١٣): مردوخ (أو بيل الأسم الثاني للاله

مردوخ)، وابنه نابو الشخصيّان الأساسيّتان في احتفاليّة أكيتو. كان الشعب يقارن ما بين هذا الإله مردوخ ويهوه الذي، بالنسبة إليهم خلال فترة السبي البابليّ كان قد تركهم بين أيدي العدوّ، ولهذا فإنّ المقارنة بينه وبين الآلهة الأخرى كانت شديدة في وقت السبي البابليّ من خلال الفعل يشبه (דָּמָה)؛ مز ٧٧: ١٤، ٨٦: ٨، ٨٩: ٧)، وبنفس الوقت كانت إنوما إيليش تتغنّى بأنّ لا شبيه لمردوخ: "**شيمتكا لا شنان سيقركا أنوم، أماروتو كابتاكا إينا إيلو رابوتوم، شيمتكا لا شنان سيقركا أنوم**" **أي: قدرك لا شبيه له، قرارك متسام مثل قرار إنو، يا مردوخ أنت فقط تتعالى بين الآلهة الكبار، قدرك لا شبيه له، قرارك متسامٍ مثل قرار إنو**" (٤/٤–٦؛ أنظر أيضًا ٧/٨٨، ١٠١، ١١٨).

٣ – إنوما إليش

تعتبر واحدة من أهمّ أساطير ما بين النهرين، إلى جانب ملحمة كلكامش ومحلمة أطراحاسيس، ولكنها الأكثر شهرة في نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأوّل قبل الميلاد، وخاصّة في فترة السبي البابليّ، بسبب تلاوتها أثناء احتفال أكيتو في بابل. النصّ المكتوب على سبعة ألواح يتكوّن من ١١٠٠ آية. كتب في عهد نبوخذنصر الثاني في ١١٢٤–١١٠٣ ق.م. أكثر النصوص القديمة تعود إلى مكتبة أشوربانيبال. كانت هذه القصّة ترتّل في اليوم الرابع من عيد أكيتو السنوي والذي كان يصادف عيد رأس السنة البابليّة، وخلال الأيّام الثلاثة الأولى من التحضير للعيد كانت ترتّل بعض الصلوات والطقوس من أهمّها الصلاة الخاصّة بالإله مردوخ، والتي لها علاقة بالمزمور ١١٥ وأش ٤٠: ١٢–٣١. وإليكم ملخّص هذه القصّة:

"عندما في الأعالي لم يكن قد اعطي بعد اسم للسماء وللأرض، كان يوجد فقط الكَاوُس الأوّليّ، عبارة عن كومة من المياه تتكوّن من: **عَبسُو** (المياه الحلوة)، العنصر الذكر، **وتيامات** (مياه البحر المالحة)، العنصر الأنثى. في تلك

book mo2tamar .indd 195 6/14/2010 10:21:38 AM

اللحظة بدأت ولادة الآلهة في عدّة أجيال. بعد ذلك بدأت الأزمة الأولى في جماعة الآلهة، والتي تمّ حلّها من قبل الإله الحكيم أنكي. ثمّ يتمّ سرد ولادة مردوخ. وبعدها تبدأ الأزمة الثانية سببها لعب مردوخ، ولذلك تعلن الآلهة تيامات الحرب ضدّ جماعة الآلهة. هذه الجماعة شعرت بالخوف الرهيب، في هذه الأزمة يظهر الإله مردوخ أقوى الآلهة، ويبدأ الحرب ضدّها، ولكن قبل القضاء عليها يشترط على الآلهة في حالة انتصاره أن يعطوه السلطة القصوى. ينتصر عليها ويشطرها كالمحارة، ومن جسدها يخلق العالم: النصف العلوي قبة السماء والنصف السفليّ الأرض. ثمّ يخلق النجوم، ويخرج نهر دجلة الفرات من عيونها. وبعد ذلك **يخلق الإنسان من دم الإله الذي كان المحرّض للحرب ما بين الآلهة، ليكون الإنسان مسؤولاً عن الأعمال، ولكي يعطي الراحة للآلهة.** والقصّة تنتهي باختيار بابل مركز العالم ومسكن الآلهة؛ وتقوم الآلهة باعلان مردوخ ملك الآلهة، وإعطائه ٥٠ لقبًا تركّز على أنّه إله الآلهة: ولهذا فإنّ القصّة تعتبر قصّة تمجيد مردوخ أكثر ممّا هي قصة لخلق العالم.

٤ – خلق الإنسان في إنوما إليش: ٤/ ١–٦، ٧–١٠، ٢٩–٣٣، ٣٤–٣٦

خلق الإنسان: ٤/ ١–٦ "**مردوخ**، بعدما سمع قرار الألهة، كان قلبه يحثّه على خلق إبداعات أخرى. فتح فمه وقال للإله إيا، شارحًا له الفكرة التي كان يمتلكها في قلبه: أريد أن أختر الدم كي أصنع عضمًا، وأخلق لوللا، الذي سيكون اسمه إنسان (**موشو**)".

٤/ ٣٣–٢٩: "**كينكو** الذي كان قد رتّب الحرب، الذي دفع تيامات إلى الثورة ونظّم المعركة، (الأجيجيّ) قيّدوه ووضعوه أمام إيا. قرّروا عقابه، قطعوا أوردته، وبدمه خلق الإنسان (**إينا دامشو إبانا املوتو**)".

غرض الخلق: ٤/ ٧–١٠: "أريد أن أخلق الإنسان (**لوبنيما لولو أملو**)، لكي

يتحمّل أثقال الآلهة، لكي يكون لهؤلاء وقت حرّ، ولكي أجعل وجود الآلهة أكثر جمالاً، حتّى وإن كانو مقسَّمين إلى مجموعتين يكونون محترمين".

٤/ ٣٤–٣٥: "عليه (الإنسان) سوف يوضع ثقل الآلهة لكي تتحرّر الآلهة. بعدما خلق إيا الحكيم الإنسان، وضع عليه ثقل الآلهة".

في هذه القصّة فإنّ الإنسان كان قد خلق لخدمة الآلهة وخدمة المعبد، وتحرير مجموعة من الآلهة من أعمالهم المتعبة.

في النصّ اليوناني المترجم من قبل الكاتب بيروسوس، مستشار الملك إسكندر الكبير، يضيف عنصر آخر في خلق الإنسان، دم الإله ممزوجًا مع التراب (بيروسس Frag 1a.78-82)، لكي يكون للإنسان عقل يجعله يشترك في الحكمة الالهيّة (تك ١–٢).

٥ – ملحمة إنوما إيلو أوِيلوم (أطراحسيس: الإنسان الذكي جدًّا): *Inuma Ilu Awilum*

تعتبر هذه الملحمة واحدة من أعمق قصص ما بين النهرين التي تتحدّث عن علاقة الإنسان مع الآلهة والعالم. النصّ القديم الذي كتبه نورابيا يرقى إلى عهد حكم عاميصادوقا في الفترة ١٦٤٦–١٦٢٦ ق. م. وتمّ إعادة كتابته في عهد أشور بانيبال في ٦٦٨–٦٢٧ ق. م.، ومحفوظ اليوم في متحف لندن. القصيدة تتكوّن من ١٢٤٥ سطرًا، أهمّ مواضيعها الآلهة والإنسان وعالمه. موضوعها الأساسيّ هو أنتروبولوجيّ. في البداية يتمّ تصوير العالم قبل ظهور الإنسان، ثمّ قصّة خلقه، وبعد ذلك يتمّ سرد التصادم ما بين الآلهة والإنسان، يليه الحديث عن الإنسان وتاريخه.

في البدء لم يكن يوجد شيء سوى الآلهة على شكل إنسان، وكانوا قد تقاسموا العالم: إنو كان يحكم السماء، **انليل** كان يعتني بالأرض، **وانكي** كان سيّد العَبسُو أو العالم السفليّ. بالإضافة إلى أنّهم كانوا المسؤولين عن تنظيم

book mo2tamar .indd 197 6/14/2010 10:21:38 AM

جماعة الآلهة. كانوا قد فرضوا على الآلهة الصغار (**الأجيجي**) عمل الأرض (الفلاحة) لتغذية الآلهة الكبار (**إنوناكو**). مع مرور الوقت كان الوضع يصبح غير قابل للتحمّل. الآلهة الصغار لم يستطيعوا التحمّل أكثر من ذلك، وكانوا يفكّرون بترك العمل والخلود إلى الراحة مثل الآلهة الكبار. تركوا جانبًا أدوات العمل، وذهبوا يبحثون عن مسكن انليل. هذا العمل خلق أزمة كبيرة وتهديدًا قويًّا لعالم الآلهة. للوصول إلى الحلّ استنجدوا بالذكيّ **انكي**. هذا الإله فكّر بالقضيّة، ووجد طريقة لحلّ الأزمة: خلق الإنسان لكي يأخذ مكان الآلهة العاملين. هذه الفكرة كانت بداية العمليّة الطويلة لخلق الإنسان. الإنسان ينوب عن الآلهة، وهذا ما يشرح أيضًا طبيعته المعقدّة. إحدى الإلهات (**ننتو**) أخذت الطين من أعماق الأرض لجبل جسده والآلهة أعطته روحها. وبعد ذلك حمل الإنسان على ظهره العمل الثقيل. هدفه في الحياة هو خدمة الآلهة.

الإنسان كان وفيًّا في رسالته هذه إلى اليوم الذي فيه رغب في ترك العمل، واشتهى أن يتشبّه بالآلهة؛ هذا التصرف أزعج الإله **انليل**. ولهذا قرّر أن يعاقبه بالنكبات. ولكنّ الإله **انكي** حاول مساعد الإنسانيّة عن طريق مختاره، **اطراحاسيس**. العقاب الأخير الذي كان **انليل** قد قرّره هو الطوفان. ولكنّ الفضل يعود إلى تدخّل **انكي**، إذ استطاع **أطراحسيس** مع عائلته النجاة. بعد تناقص المياه، **انليل** وجماعة الآلهة تصالحوا مع **اطراحسيس**.

ملحمة جلجامش Gilgamish

النصّ المحفوظ في ١٢ لوحة يعتبر عملاً أدبيًّا منجز في الفترة البابليّة القديمة (Paleobabilonese)، أي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبعد ذلك في القرنَين ١٣ إلى ١٢ قبل الميلاد؛ فإنّ الكاهن المعزم **سينليكوينيني** عمل على إعادة كتابتها من جديد كرواية جديدة ومحدثة. بطل الرواية هو **جلجامش**، ملك مدينة أوروك، الذي لم يقتنع، كونه أكبر ملك في وادي الرافدين، ذهب يبحث عن الخلود لتحرير الإنسان من الموت.

book mo2tamar .indd 198 6/14/2010 10:21:38 AM

٦ – المزمور المئة والخامس عشر

يبدأ مز ١١٥ **بدعوة** يوجّهها المصلّي إلى الله: **"لا لنا، يا ربّ، لا لنا، بل لاسمك أعطي المجد، مِنْ أَجْلِ رحمتك، من أجل أمانتك"**. ثم بسؤال موجّه إلى كلّ من يقرأ أو يصلّي هذا المزمور، أي لنا أيضًا اليوم: **"لِمَاذَا تَسْأَلُنَا الأُمَمُ: أَيْنَ هُوَ إِلَهُهُمْ؟"**. وبعد ذلك يحصل المصلّي **على الجواب** في الآيتَين التاليتَين على شكل جزءَين: الأوّل يعطي الإجابة على أهمّيّة مكانة الله في الخلق والتاريخ: **" إِنَّ إِلَهَنَا فِي السَّمَاوَاتِ. كُلَّ مَا شَاءَ صَنَعَ"**. وفي الجزء الثاني من الجواب يبيّن المصلّي عدميّة الآلهة الأخرى والأوثان المنتشرة في زمنه، والتي بدأت تنتشر في يومنا هذا: **" أَوْثَانُهُمْ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، إنها صُنْعِ أَيْدِي آدم"**. بينما في الآيات الباقية من المزمور يشرح المصلّي معنى سؤاله والجواب عليه.

يعتبر تفسير هذا المزمور مهمًّا، نظرًا لكونه يعود إلى أهمّ فترات تاريخ الكتاب المقدّس وعلاقته مع حضارة وادي الرافدين، وخاصّة الحضارة البابليّة، وهي فترة المنفى البابليّ. يبدو المزمور قريبًا من فترة النبيّ أشعيا الثاني، والذي عاش في المنفى البابليّ وبعده بفترة قصيرة، أي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد (أنظر أش ٤٣: ٧؛ حز ٣٦: ٢٢–٢٣ و مز ٢٣: ٣؛ أنظر أيضًا أش ٤٤: ٩؛ إر ١٠: ١–١٢). ولهذا سوف أحاول تفسير هذا المزمور وربطه ببيئته التاريخيّة، وعلاقته مع حضارة وادي الرافدين في الألف الأوّل قبل الميلاد، وأهمّيّته بالنسبة إلينا اليوم.

٧ – ترجمة المزمور

١ لا لنا، يا ربّ، لا لنا، بل لاسمك أعطي المجد، مِنْ أَجْلِ رحمتك، من أجل أمانتك.

٢ لِمَاذَا تَسْأَلُنَا الأُمَمُ: "أَيْنَ هُوَ إِلَهُهُمْ؟". ٣ إِنَّ إِلَهَنَا فِي السَّمَاوَاتِ. كُلَّ مَا شَاءَ صَنَعَ.

book mo2tamar .indd 199 6/14/2010 10:21:38 AM

٤ أَوْثَانُهُمْ فضَّةٌ وَذَهَبٌ، إنها صُنْعُ أَيْدِي آدم. ٥ أَفْوَاهٌ لَهَا لَكِنَّهَا لاَ تَنْطِقُ. عُيُونٌ
لَهَا وَلَكِنَّهَا لاَ تُبْصِرُ.
٦ آذَانٌ لها لَكِنَّهَا لاَ تَسْمَعُ. وَأُنُوفٌ لها لَكِنَّهَا لاَ تَشُمُّ.
٧ أَيْد لها لَكِنَّهَا لاَ تَلْمِسُ. وَأَرْجُلٌ لها لَكِنَّهَا لاَ تَمْشِي، وَلاَ تُصْدِرُ صَوْتًا مِنْ
حَنَاجِرِهَا.
٨ مِثْلَهَا يَصيرُ صَانِعُوهَا وَكُلُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا.
٩ إِسْرَائِيلُ اتَّكِل عَلَى الرَّبِّ: عَوْنُهُمْ وَتُرْسُهمْ هو. ١٠ يَا بَيْتَ هَارُونَ اتَّكِلُوا
عَلَى الرَّبِّ: عَوْنُهُمْ وَتُرْسُهمْ هو.
١١ يَاخَائِفِيّ الرَّبِّ اتَّكِلُوا عَلَى الرَّبِّ: عَوْنُهُمْ وَتُرْسُهمْ هو.
١٢ الرَّبُّ ذَكَرَنَا: يُبَارِكُنَا. يُبَارِكُ بيتَ إِسْرَائِيلَ، يُبَارِكُ بيتَ هَارُونَ. ١٣ يُبَارِكُ
خائفيّ الربّ: الصِغَارَ والكِبَار.
١٤ لِيَزِد الرَّبُّ عَلَيْكُمْ: عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَوْلاَدِكُمْ. ١٥ مباركون أنتم من قِبَلِ الرَّبِّ،
خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.
١٦ السَّمَاوَاتُ: سماواتٌ للرَّبِّ، أَمَّا الأَرْضُ فَوَهَبَهَا لِبَنِي آدَمَ.
١٧ لاَ الأمواتُ يهلّلون للرَّبِّ، وَلاَ الهَاجِعُونَ فِي الْقُبُورِ.
١٨ أَمَّا نَحْنُ فَنُبَارِكُ الرَّبَّ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ. هَلِّلُويَا.

تفسير مز ١١٥

يعتبر هذا المزمور رثاء عموميًّا، طلبة افتتاح والتماس، آ ١. وصف نحيب الخصم على شكل سؤال استهزاء، آ ٢ (مثل مز ٧٩: ١٠). الاعتراف بالثقة بكلمات إيجابيّة، آ ٣ (أنظر مز ٧٤: ١٢)، وسلبيّة آ ٤–٧. التمنيّ السلبيّ، آ ٨ (مز ٧٩: ١٢؛ ٨٠: ١٧). آيات ليتورجيّة: تشجيع الكاهن، آ ٩–١١؛ جواب الجوق، آ ١٢–١٣؛ بركة نهائيّة، آ ١٧–١٨ (مز ٧٩: ١٣).

book mo2tamar .indd 200 6/14/2010 10:21:38 AM

١. **التماس إلى الله الضابط الكلّ** (آ ١): الشعب الإسرائيليّ نفي إلى بابل بسبب خطيئته، ولكن عليه أن يكون أيضًا شاهدًا لهذا الإله، ويعلن اسمه ليترك المجال لحبّ الله في كلّ مكان؛ رسالته هي: إعلان اسم الله وتمجيده من أجل رحمته وأمانته. الكلمة العبريّة כבוד تعني (δόξα) "مجد"، والكلمة חֶסֶד تعني(ἔλεος)"رحمة"، حبّ، ويمكن أن تترجم أيضًا بـ"حبّ" (أنظر هو ٦: ٦). أمّا الكلمة الثالثة فهي مرتبطة بالثانية אֱמֶת(ἀλήθεια)وتعني "أمانة".

هذه الكلمات الثلاث (مجد، حبّ، أمانة) هي أساس إيمان الشعب، خاصّة في وقت المنفى وفي وقت الضيق، فتصبح أساس الخلاص (مز ١٠٧: ٨؛ ١٠٩: ٢٦). كلّ ما حدث وما يحدث للشعب هو إرادة الله: "كلّ ما شاء صنع"، قول قضائيّ (judicial formula) يعطي الأمل للشعب (مز ١٣٥: ٦؛ جا ٨: ٣؛ أش ٤٦: ١٠؛ يون ١: ١٤).

٢. **السؤال: "أين إلههم"** (آ ٢): الشعب المختار في المنفى في حالة ضيق وضعف، ولكنّهم يثقون بالله الرحيم والأمين في وعوده، ولهذا فإنّهم يرفعون إليه طلبتهم بثقة. كانوا يشعرون بأنّ الله بعيد عنهم، وقد تركهم بين الشعوب التي تستهزىء بهم بالسؤال: **"أين إلههم؟"** (مز ٧٩: ٩–١٠). إنّهم يؤمنون بتدخّل إلهيّ من أجل اسمه، كما كان يعلنه حزقيّال أيضًا في المنفى (حز ٣٦: ٢٢–٢٣). إنّ الله أمين لوعوده ولذلك فإنّهم واثقون بأنّ الله سوف يخلّصهم.

٣. الجواب (آ ٣): من خلال الجواب في آ ٣ يعلن الشعب إيمانه بإله قادر على كلّ شيء: **"إلهنا في السماوات، كلّ ما شاء صنع"**، فهو إذًا قادر على إنقاذهم من المنفى (أنظر مز ٢: ١–٤).

في هذه الفترة بعد دمار أورشليم والهيكل ونهاية عهد سلالة مملكة داود كان الشعب قد فقد ثقته بالله القادر على كلّ شيء: ذلك الإله الخالق الذي خلّص شعبه من عبوديّة مصر، وقاده إلى أرض الحرّيّة بعبوره البحر الأحمر

book mo2tamar .indd 201 6/14/2010 10:21:38 AM

ووصوله إلى أرض الميعاد، كان يبدو للبعض غير قادر على أيّ شيء؛ بسقوط أورشليم كان إله البابليّين مردوخ أقوى لأنّه انتصر في الحرب، كما رأينا في الجزء التاريخيّ من هذا المقال. ولكن بالنسبة إلى المؤمنين باسمه، فإنّه لا يزال قادرًا على انقاذهم.

٤. **عدميّة الآلهة** (آ ٤–٨): في هذه الايات يتمّ تفسير الآلهة على الشكل التالي: **لاَ تَنْطِقُ. لاَ تُبْصِرُ. لاَ تَسْمَعُ. لاَ تَشُمُّ. لاَ تَلْمِسُ. لاَ تَمْشِي، وَلاَ تُصْدِرُ صَوْتًا**. إنّها آلهة غير قادرة على أيّ شيء، عاجزة تمامًا: **عكس إلههم القادر على كلّ شي: يصنع ما يشاء**. وهنا أيضًا إشارة إلى تك ١: ٢٦–٢٧: الإنسان مخلوق على صورة الله. هذه الآيات ممكن مقارنتها مع أش ٤٠: ١٨–٢٠ (**بمن تشبّهونني؟**)، وأش ٤٤: ٩–٢٠ (إر ١٠: ١–١٦). كلّها نصوص تعود إلى وقت المنفى البابليّ.

٥. **دعوة إلى الثقة بالله** (آ ٩–١١): بعد كلّ ما تمّ وصفه أعلاه، فإنّ المصلّي يدعو إلى الثقة بالله، لأنّه لايزال قادرًا على كلّ شيء. إنّه صوت الكهنة، إنطلاقًا من آ ٨، بأنّ نهاية صانعيّ الآلهة ستكون مثل نهاية الآلهة نفسها، فإنّ الكهنة يدعون الشعب إلى الثقة بالله (آ ٩ب، ١٠أ، ١١أ).

قدرة الله على عمل كلّ شيء في آ ٣، تظهر الآن بجانب شعبه (أنظر مز ٣٣: ٢٠–٢١). في آ ١١ فإنّ الجملة יִרְאֵי יְהוָה ممكن أنّها تشير إلى عباد الله الحقيقيّين (proselytes) أو إلى إسرائيل نفسه. ولذلك فإنّ آ ١٣ تقول الكبار والصغار أي الكلّ (הַקְּטַנִּים עִם־הַגְּדֹלִים)؛ أنظر مز ٢٢: ٢٤؛ ٦٦: ١٦.

٦. **التأكيد على البركة** (آ ١٢–١٣): الدعوة إلى الثقة بالله القادر على كلّ شيء تجلب البركة (مز ١٢١: ٧–٨).

٧. **البركة الكهنوتيّة** (آ ١٤–١٨): الآن فإنّ الكاهن الذي كان يتكلّم في آ٩أ، ١٠أ، ١١أ، يتلو البركة التي تتحقّق بالإنجاب وإعطاء الحياة الجديدة؛ إنّها هبة من الله. إنّها مثل بركة هارون في عد ٦: ٢٣–٢٧. في التضرّع الأخير يؤكّد المصلّي على أنّ الله مختلف تمامًا عن الآلهة المصنوعة بأيدي آدم آ ٤ وآ

book mo2tamar .indd 202 6/14/2010 10:21:38 AM

٨ (עֹשֵׂיהֶם، מַעֲשֵׂה יְדֵי אָדָם) وبين الله خالق السماء والأرض، يعني كلّ العالم (עֹשֵׂה שָׁמַיִם וָאָרֶץ).

الله الساكن في السماوات أعطى الأرض للإنسان كمسؤول لكي يبارك الربّ: الإنسان الحيّ يستطيع أن يبارك الربّ، ولهذا فإنّ حالة المنفيّين في بابل تشبه حالة الموتى الذين يسكنون في القبور، ولا يستطيعون التسبيح لله؛ هذا ما يؤكّد على أنّ الله سوف يخلّصهم من المنفى كي يكونوا قادرين على تسبيحه. هلّلويا.

٨ – تأوين

في القصص البابليّة كانت الفكرة الأساسيّة في خلق الإنسان تتعلّق بالحرب ما بين الآلهة الكبار والصغار؛ نتيجته هي الاتفاق على خلق الإنسان المجبول من الطين مع دم الإله المتمرّد، ولكي يقوم بعمل الآلهة وخدمتهم، وتقديم الذبائح لهم في الهيكل. الإنسان خُلِقَ لتحرير الآلهة من أتعابهم ولخدمتهم، بينما قصص الخلق في الكتاب المقدّس تعبّر عن إيمان الإنسان بإله محبّ، خلق الإنسان عن محبّة، ولهذا فإنّنا نرى أنّ قصص الخلق في المزامير تتحدّث عن الخروج الثاني من بابل كخلق جديد.

مع وصول نبوخذنصر الثاني إلى الحكم، أخذت إنوما إليش صبغة سياسيّة، وهكذا فإنّ الإله مردوخ أصبح أداة لنشر إيدولوجيّة المملكة. الاحتفال المهرجانيّ لحمل تمثاله في شوارع بابل كان يدعو، بشكل لا محال، شعب إسرائيل إلى المشاركة في احتفالات أكيتو، وهكذا تَعَرَّف الشعب المختار على إنوما إليش.

بينما كان أشعيا الثاني يبثّ الأمل للمسبيّين بتدخّل إلهيّ، فإنّ خلاص الله تحقّق بوصول قورش الفارسيّ إلى الحكم، الذي، باحتلاله بابل، وضع نهاية للسبي في ٥٣٩–٥٣٨ ق.م.

book mo2tamar .indd 203 6/14/2010 10:21:38 AM

قصص خلق العالم في الكتاب المقدّس وما نراه في مز ١١٥ تفسّر الفوضى الأوّليّة من البدء، وتدخّل الله في خلق العالم وتنظيمه. نستطيع أن نرى تطابقًا أوّليًّا ما بين الفوضى الأوّليّة وما بين حالة الشعب الإسرائيليّ في المنفى المتمثّلة بخبرة "الهاوية" (תְּהוֹם). نستطيع أن نرى تطابقًا ثانيًا ما بين الله الذي يخلق وينظّم وما بين عمل الخلاص لله الذي يحرّر شعبه من بابل، منتصرًا على الفوضى والظلمات (תֹּהוּ וָבֹהוּ) مع خروج جديد.

بالنسبة إلى المزمير فإنّ تتميم العمل الخلاّق والخلاصيّ للربّ يتحقّق في الصلاة التي يرفعها الشعب لله، وفي البركة التي ينالها في نهاية المزمور؛ بالحقيقة، تحقّق الخلق الجديد وتجلّى المجد الحقيقيّ للخالق.

هكذا نستطيع نحن أيضًا اليوم أن نقول مع بولس في ١ كو ١٢: ٢–٣: "أمَّا المَواهِبُ الرُّوحيَّة، أَيُّها الإِخوَة، فلا أُريدُ أن تَجهَلوا أمْرَها،[٢] تَعلَمونَ أَنَّكُم، لَمَّا كُنتُم وَثنيِّين، "كُنتُم تَندَفعونَ إلى الأوثانِ البُكم على غَيرِ هُدًى.[٣]ولِذلك أُعلِمُكم أنَّه ما مِن أَحَدٍ ، إِذا تَكلَّمَ بِإِلهام مِن روحِ الله، يَقول: مَلْعونٌ يَسوع، ولا يَستَطيعُ أَحَدٌ أن يَقول: يَسوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِإِلهامٍ مِنَ الرُّوحِ القُدُس". ومن خلال مز ١٥ هناك دعوة إلى المسيحيّين اليوم المنتشرين في عالم لا يخلو من الأوثان الحديثة: عالم اليوم. حقيقة العلاقة مع الله اليوم تواجه رفض قويّ من قبل الإيدولوجيّات الحديثة (الآلهة والأوثان المصنوعة بأيدي الإنسان)، وتعمل فجوة ما بين الخالق والمخلوق، بل تجعل من المخلوق خالقًا، لكي نعلن إيماننا مع بولس: "فلَمَّا بُرِّرْنا بِالإِيمان، حَصَلْنا على السَّلام مع اللهِ بِرَبِّنا يسوعَ المَسيح، وبِه أيضًا بَلَغْنا بِالإِيمانِ إلى هذه النِّعمَةِ الَّتي فيها نحنُ قائمون، وَنَفْتَخِرُ بِالرَّجاءِ لِمَجْدِ الله" (روم ٥: ١–٢)، لنكون واثقين مثله: "وإِنِّي واثِقٌ بِأَنَّه لا مَوتٌ ولا حَياة، ولا مَلائِكَةٌ ولا أَصحابُ رِئاسة، ولا حاضِرٌ ولا مُستَقبَل، ولا

قُوَّاتٌ، ولا عُلُوٌّ ولا عُمْق، ولا خَليقَةٌ أُخْرى، بِوُسعِها أَن تَفصِلَنا عن مَحبَّةِ اللهِ الَّتي في المَسيحِ يَسوعَ رَبِّنا " (رو ٨: ٣٨–٣٩)[١].

مراجع

ALLEN L. C. *Psalms 101-150,* Word Biblical Commentary, 21, Dallas (TX) 2002.

BIDMEAD Julye, *The Akītu Festival. Religious Continuity and Royal Legitimation in Mesopotamian,* Dissertation Near Eastern Studies, Gorgias Press, Piscataway (NJ) 2002.

BIGA Maria Giovanna - CAPOMACCHIA Anna Maria, *Il politeismo vicino-oriantale: Introduzione alla storia delle religioni del Vicino Oriente Antico*, Libreria dello Stato, Roma 2008.

BOTTÉRO Jean - KARMER Samuel N., *Lorsque les dieux faisaient l'homme : mythologie mésopotamienne*, Gallimard, Paris, 1989.

CLIFFORD Richard J., "Creation Accounts in the Ancient Near East and in the Bible", *Catholic Biblical Qaurterly.* Main Series 26 (1994) 13-98.

GMIRKIN Russell E., *Berossus and Genesis, Manetho and Exodus, Hellenistic Histories and the Date of the Pentateuch*, Library of Hebrew Bible/ Old Testament Studies, 433, T & T Clark, New York 2006.

(١) L. C. ALLEN, (2002). Vol. 21: Word Biblical Commentary: *Psalms 101-150* (Revised).
Word Biblical Commentary (143). Dallas: Word, Incorporated; R. Meynet (*Rhetorical Analysis*, 153–55); *N. C.* HABEL, "'Yahweh, Maker of Heaven and Earth': A Study in Tradition Criticism", *JBL* 91 (1972) 321–37.
Y. KAUFMANN, *The Religion of Israel from Its Beginnings to the Babylonian Exile*. Tr. M. Greenberg. London: Allen and Unwin, 1960; R. *Meynet* (*Rhetorical Analysis*, 153–55)

book mo2tamar .indd 205 6/14/2010 10:21:38 AM

HABEL, N.C., "'Yahweh, Maker of Heaven and Earth': A Study in Tradition Criticism", *JBL* 91 (1972) 321–37.

HALLO William W., *The Context of Scripture*, Brill, Leiden 1997, I-III.

HEIDEL Alexander, *The Babylonian Genesis: The Story of Creation,* The University of Chicago Press, Chicago (IL) [2]1950, [1]1942.

KAUFAMNN, Y., *The Religion of Israel from its Beginnings to the Babylonian Exile*, Allen and Unwin, London 1960

LABAT René, *Le poème babylonien de la création*, Maisonneuve, Paris, 1935.

LAMBERT W.G.-MILLARD A.R., Atrahasis, *The Babylonia Story of the Flood*, Oxford, 1969.

LAMBERT Wilfred G., *Enuma Eliš, The Babylonian Epic of Creation, the Cuneiform Text*, Clarendon, Oxford 1966.

PARPOLA S., *The Standard Babylonian Epic of Gilgamesh*, Helsinki, 1997.

PRITCHARD James B. (a cura di), *Ancient Near East Texts Relating to the Old Testament*, Princeton University Press, Princeton (NJ) 19693, 19501, I-II.

TALON Philippe, *The Standard Babylonian Creation Myth: Enūma Eliš*, State Archives of Assyria Cuneiform Texts, 4, University of Helsinki, Finland 2006.

THUREAU-DANGIN François, *Rituels Accadiens*, Leroux, Paris 1921.

VERBRUGGHE Gerald P. - WICKERSHAM John M., *Berossos and Manetho, Introduction and Translated*: Native Traditions in Ancient Mesopotamia and Egypt, Ann Arbor: The University of Michigan Press, Michigan (MI) 1996.

book mo2tamar .indd 206 6/14/2010 10:21:38 AM